على طريق الأصالة

(٢٧)

محاولات التغريب

فى فصل أدبنا المعاصر عن أصوله الإسلامية

أنور الجندى

بسم الله الرحمن الرحيم

محاولات التغريب فى فصل أدبنا المعاصر

عن أصوله الإسلامية

أولا :

منذ بدأت حملات التغريب والغزو الثقافى والشعوبية على الفكر الإسلامى عن طريق الاستشراق والتبشير فقد وجهت قذائف كثيرة إلى معسكر الأدب العربى واللغة العربية بهدف تهوين قيمها الإسلامية التى صاغها القرآن الكريم والسنة النبوية ورغبة فى تزييف أصولها وأصالتها وتذويبها فى أتون النظريات الغربية الأممية الإباحية والمادية والوثنية .

ومن هنا فقد كان من الضرورى - والمسلمون يتوجهون اليوم إلى بناء مفاهيمهم الفكرية على أساس القرآن الكريم بعد أن تميعت أجيالا طويلة - أن يكشفوا زيف هذه المؤامرات الخطيرة وأن يدحضوها حتى يمكن تسوية الأرض أمام قيام منهج إسلامى صحيح للأدب ، يكون متحرراً من التبعية ومستمداً من المنابع .

ولطالما دعا الأبرار من رجال اليقظة الإسلامية ، هذه الأمة

ممثلة فى أساتذتها وعلمائها ورجال جامعاتها إلى التماس منهج إسلامى للأدب العربى بعد أن أفسد التغريبيون هذا المعين المشرق النقى وحالوا بين روائعه وبين الوصول إلى الشباب المسلم ، مقدمين عليها سموم أبى نواس وبشار ووالبه بن الحباب وغيرهم ، بل لقد بلغ الفجور والإجرام بكبيرهم إلى أن يقول إن القرن الثانى للهجرة هو عصر شك ومجون وفيه من فيه من التابعين البررة الذين أنشأوا المذاهب الفقهية الإسلامية ومفسرى القرآن ومقننى الشريعة .

ولقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الإسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين :

لماذا نكون تابعين لمدارس معينة فى النقد الأدبى ولا يكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا ، لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهى غريبة عنا ، ولا يكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من أدبنا ، وما دام أدبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الأدب الغربى ، فلماذا نحكم مقاييس هذا الأدب فيه .

وأعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر : قرن هزيمة التغريب والغزو الثقافى وقيام مناهج الأصالة فى مختلف جوانب الفكر الإسلامى (سياسياً أو اقتصادياً أو قانونياً أو اجتماعياً وتربية) أعتقد أنه قد آن الأوان

لإرساء المنهج الإسلامى للأدب . ولقد كان لأدبائنا فى عصور الأدب العربى المتصلة نظرياتهم ومناهجهم التى شكلوها فى ضوء إنتاجهم ، وأعتقد أن أساتذة الأدب العربى فى جامعات البلاد العربية الإسلامية اليوم يؤمنون بما آمن به هذا الرعيل الكريم من أنه قد آن الأوان لإنشاء منهج إسلامى للنقد الأدبى ولتاريخ الأدب العربى .

أولا : (وهو أخطر المحاذير) تبعية الأدب العربى للمفهوم الغربى للنقد الأدبى والاستسلام أمام مفهوم (تين وبرونتير وسانت بيف) وهو مفهوم مادى صرف يفترض فى النظرة إلى الإنسان أنه حيوان يخضع للبيئة ، وتسيطر عليه شهوتى الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمداداً من نظرية دارون أساساً .

وقد أشار (ستانلى هايمن) فى كتابه (النقد الأدبى ومدارسه) إلى أن النقد الأدبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دارون وماركس وفريزر وفرويد وديوى ، أما دارون فقد جاءت منه الفكرة بأن الإنسان جزء من النظام الطبيعى وطبق على الإنسان مايطبق على الحيوان والحشرات أما ماركس فهو الذى ذهب إلى أن الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة معقدة ملتوية أحياناً للعلاقات الاجتماعية والإنتاجية لهذا العصر أو ذاك .

أما فرويد فهو الذى يرى أن الأدب تعبير مقنّع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياساً على الأحلام ، وأن هذه المقنعات تعمل حسب

مبادىء معروفة ، وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعاً مستمراً .
أما فريزر فهو صاحب الأفكار عن السحر البدائى والأسطورة والشعيرة البدائية . أما ديوى فهو يرى أن قراءة الأدب وكتابته ليست إلا صوراً انفعالية إنسانية يمكن أن تقاس بأى فاعلية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها .

هذه هى النظرية التى فرضت على النقد الأدبى وقبلها المفكرون والأدباء وأساتذة الأدب ، ولو أن الأدباء كانوا خالصى النية فى خدمة الأدب العربى لامتصوا من هذه المذاهب خير ما فيها ثم بنوا لنا نظرية أصيلة مستمدة من جوهر أدبنا ووفق مفاهيمه وقيمه ومناهجه ، ذلك لأن الأدب العربى بعد نزول القرآن الكريم أسس منهجاً أصيلا وأقر قوانين معروفة نمت وتطورت ثم توقفت وجمدت وكان فى الإمكان تحريرها من أخطاء وانحرافات عصور للتحلل ومن سيطرة الوافد .

ومما يذكر أن الفلسفات الخمسة التى اشتقت منها نظرية النقد الأدبى قد ضربت وطعن فيها وأصابها بمضى الزمن فساد كبير واليوم نسمع عن أخطاء عريضة فى مذهب داروين وماركس وفرويد تحولت بها هذه الفلسفات عن أصولها فضلا عن أن مفهوم الأدب الإسلامى هو إقامة مفهوم الإنسان على أنه روح ومادة ، وعقل وقلب ،

وأنه قبضة من الطين ونفخة من الروح.

ثانياً : تبعية الأدب العربي لمنهج وافد في كتابة تاريخ الأدب : ذلك هو منهج تقسيم الأدب العربي إلى عصور : أموى وعباسى وغيرهما وهو تقسيم ظالم ، فضلا عن وصف عصرى المماليك والدولة العثمانية باسم (عصر الانحطاط) بينما يحمل هذا العصر عصارة ثمرات تطور الأدب العربي والفكر الإسلامي مما يجعله خليقاً بأن يسمى عصر الموسوعات ، ولولا سيطرة مفاهيم التغريب لأمكن أن يترابط الأدب العربي في وحدة لها طابعها الأصيل المستمد من جوهره والذى يختلف كثيراً عن التقسيم الذى طبقته فرنسا وانجلترا وألمانيا حين انفصلت بآدابها ولهجاتها عن اللاتينية ، بينما يمثل الأدب العربي وحدة متصلة مترابطة منذ ظهور الإسلام إلى اليوم بحيث أن كل خطوة فيه هى نتيجة لما سبقها ومقدمة لما بعدها ، دون أن نجد بين هذه المراحل ثمة انفصام أو توقف أو انفصال .

ثالثاً : محاولة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والأخلاق ، وهى دعوى تهدف إلى تحرير الأدب من قواعد الدين والأخلاق وتدفعه إلى مجالات الغواية والإباحة والكشف ، ومن ذلك محاولة للفصل بين مقومات الإسلام وبين الأدب العربي .

وقد كانت قضية إقصاء الأدب العربي عن الأخلاق من كبريات

القضايا رغبة فى إشاعة روح الإباحة وإحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والأدب المكشوف من اللغات الغربية . ولم يكن هؤلاء الأدباء يحملون صفات المثل الأعلى الكريم ، وكانوا يتطلعون إلى صور البوهيمية التى عرفت بالفوضى وعدم الاكتراث .

رابعاً : إعــلاء الشخصيات الزائفة والموصومة من الزنادقة والإباحيين فى الشعر : بشار وأبى نواس ، وفى الأثر : أمثال ابن عربى والحلاج .

هذا فضلا عن والتجاهل والإغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الأثر الحق فى أمثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالى والمتنبى وتوجيه الاتهامات إليهم .

خامساً : إقذاع النقد الأدبى وإبلاغه أقصى درجات الهجاء واستعمال الأسلوب الحزبى النازل وقد صدرت جميع معارك النقد الأدبى من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والإنجليزية والدفاع عن إحداها فى مواجهة الأخرى .

سادساً : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى إلى إعلاء العامية أو التنكر للفصحى بما يسمى اللغة الوسطى ، ومنهم من دعا إلى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ، ومنهم من قال: لكم لغتكم

ولى لغتى . والهدف واضح جلى وهو فصل الأداء العربى المعاصر عن مستوى لغة القرآن على أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم . وهى محاولة لسلخ الأدب عن القيم اللغوية الأساسية ، ولما كانت الصلة بين الأدب واللغة من أهم مقومات وجود الأدب فقد جرت المحاولات التغريبية لإخراج الكتابات الجديدة من إطار اللغة الفصحى واحتكار الأصول النحوية .

سابعاً : محاولة محاكمة الأدب العربى الذى صدر عن النفس المؤمنة بالله والتى تعرف حقيقة الإنسان وجوهره الجامع روحاً ومادة ومسئوليته الفردية والتى تؤمن بالجزاء والحساب ، محاكمة هذا الأدب وفق النظريات المادية والماركسية والوجودية والفرويدية التى تعتبر الإنسان حيواناً .

ثامناً : ابتعاث أسلوب جديد على الأدب العربى ، هو الأسلوب المزدوج الذى يكتب به نصارى لبنان والمهجريين والذى يصيغ الجملة العربية صياغة غير أصيلة ، ومن عجب أن بعض المجلات الأدبية والإسلامية تنشر مثل هذا . ومن هذه الفجوة التى يتطلع إليها دعاة التغريب لعزل هذه الأمة عن البيان العربى الأصيل ، ومن ثم تبدأ مرحلة تحويل اللهجات العربيـة إلى لغات ، وهنا يكمن الخطر الذى يعد كل مسلم مسئولا عنه إن وقع ، وقبل أن يقع .

تاسعاً : كسر عامود الشعر :

وإعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف إلى نفس الغاية التى تعدلها الأزجال والأمثلة العامية من حيث صدورها من نفسيات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشراً : إحياء الأساطير والخرافات وخاصة ما يسمى تراث فينيقيا وجلجامش، والدعوة إلى مضامين كنسية وتوراتية وأسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهى كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتعبيرات الأممية .

حادى عشر : إحياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التى تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الإسلام وقضى عليها .

ثانى عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان ، والذى تتمثل فيه التجربة الإسلامية الموحدة بين الشعوب ومحق هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية .

ثالث عشر : المؤامرة على القضية العربية الأصيلة بإعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التى لا تغير فيها الأسماء والأماكن وتبقى

بمضامينها التى لا تقبلها النفس الإسلامية ولا تقر لجورها وفسادها وانحرافها .

رابع عشر: محاولة فصل الأدب العربى إلى أقاليم ، وهى المحاولة الشعوبية التى دعا إليها بعض التغريبيين ، رغبة فى تمزيق وحدة الأدب العربى والحيلولة دون التقاء جوانبه كممثل لأمة واحدة ، وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى ومغربى ، وتلك هى غاية الاحتلال والغزو الثقافى من تأكيد الإقليمية ، هذا فضلا عن فشل تقسيم الأدب إلى عصور . وهناك محاولة أخرى لعزل الأدب العربى الحديث والمعاصر عن الادب العربى القديم وإقامة الادب العربى الحديث على نحو يخرجه من طابع الادب العربى الإسلامى وانتمائه القرآنى .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من التغريبيين والتابعين للمناهج الغربية ومروجيها وإعطائهم صورة البطولة والشهرة والتبرير مع إنكار وتجاهل وحجب أصحاب الإصالة الحقيقية من أمثال مصطفى صادق الرافعى ورشيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وعلال الفاسى والثعالبى وعزام وباديس وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وأبو زهرة وخلاف .

• • •

وبعد فلقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الإسلامية عن

توجيهه خلال العقدين الماضيين هو : لماذا نكون تابعين لمدارس وافدة فى العقد الأدبى لا تمثل جوهر مفهومنا الإنسان والحياة ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا الذاتية القائمة على أساس من قيمنا ، وما دام أدبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الآداب الغربية ، فلماذا نحكم مقاييس هذه الآداب فيه وأعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن الأصالة والتحرر من التبعية) قد آن الأوان لإرساء المنهج الإسلامى للأدب وأنه قد آن الأوان لإنشاء منهج إسلامى كامل للنقد الادبى ولتاريخ الادب العربى مستمد من القرآن والسنة يكون فجراً جديداً لأمتنا وسياجاً حصيناً لشبابنا من أن ينصهر فى بوتقة الأممية العالمية والحضارة المنهارة . هذا قول مجمل وتفصيله مرافق لهذا وملحق به : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، هذا وبالله التوفيق .



(ثانياً) :

الأدب العربي

يجب أن يكون إسلامي الوجهة والمنطلق

إن الوحدة التي حققها الإسلام كانت وحدة فكر متصل بجميع جوانب الحياة ، والأدب جزء منه ، وكان الفكر - لا الأدب - هو الذي طبع عالم الإسلام بطابعه بوصفه شاملا لجميع جوانب المعرفة وليس قاصراً على تصوير النفس الإنسانية وحدها وهي مهمة الأدب الأساسية .

ولم يفصل مفهوم الفكر الإسلامي للأدب بين الفن والخلق وقد استطاع بتجربته الصادقة العميقة أن يحقق الجمع بين الصدق والاخلاق وأن يوازن بين مهمته وبين علوم التربية والنفس والاجتماع ولم ينحرف عنها ، في سبيل المبالغة في جانب على آخر ، ولم يعلي من شأن العاطفة على العقل .

وطبيعة الأدب أنه خادم أمين للتاريخ وعلم الاجتماع ، على أساس قدرته في تقديم أصدق صورة للعصر والمجتمع الذي صاغه وكونه .

ويحتاط الفكر الإسلامي في تعبير « الشعراء » ولا يراه أصدق معبر عن عصره على أساس أن الشعر منطلق عاطفي وجداني لا يتقيد

كثيراً بالعقل ولا بالعلم [وعنده أن الشعراء ورجال الفنون قوم مشبوبوا الأحاسيس مهتاجو العواطف وكثيراً مايعجز فكرهم ويطغى على قلوبهم عواطفهم المضطربة وميولهم ونزعاتهم ، وهم بحسهم المرهف يقدموا لنا صوراً براقة لامعة سافرة أخاذة ، ولكنا حريين أن نعلم أنهم قد لا يلزمون الاعتدال ولا يتوخون الإنصاف ويستخفون بالتبعية ويعتمدون على البديهية فلا يتعمقون ولا يستقصون بل يتعصبون وينحرفون ، (على أدهم).

وطابع الأدب العربى من حيث قيامه على الموازنة بين العقل والعاطفة لا يعنى كثيراً بالتصاوير والزخاف والمهرجانات والتماثيل والاستعراضات ويؤمن بالقيم الروحية الفكرية الحية ، ولا يتكىء على الجوانب المادية ولا يسرف فيها وهو فى تقديره للأبطال لا يكرم الأفراد أنفسهم ولا يضعهم موضع القداسة ، وإنما يكرم أعمالهم ويحتفى بها ولذلك فإن مثاله هو العمل لا الفرد .

ويتسم الأدب العربى بوصفه جزءاً من الفكر الإسلامى بسمات واضحة أساسية مستقلة ، تختلف كل الاختلاف عن مفهوم الآداب القديمة والحديثة من حيث استمداده أساساً من معين القرآن وتأثره بالغ التأثر بالقيم الأساسية التى رسمها للفرد والمجتمع والكون والحياة .

وقد استطاع الأدب العربى أن يمزج خير مقوماته القديمة بمقومات الفكر الإسلامى وأن يصوغ (فناً جديداً) طابعه إسلامى

الجوهر يحمل خصائص الأمة من بطولة وكرم وشجاعة وأريحية ومروءة ويطبعها بطابع المفهوم الإسلامى متجهة إلى الله تبارك وتعالى وخالصة للحق ومتجردة عن الهوى والغرض .

وقد شق الادب العربى طريقه أساساً وفق مفهوم واضح قوامه أنه غير منفصل عن الفكر الإسلامى كله كمفهوم أساسى ، فلم يقبل التضحية بالقيم والمضامين الأخلاقية من أجل البراعة الفنية ، وقد استطاع أن يوازن بينهما إيماناً بمفهومه الإسلامى القائم على الوسطية والتكامل والجمع بين العقل والقلب والروح والمادة دون أن يرجح أحدهما أو يعلى الآخر مؤمناً بسلامة بناء الكيان الإنسانى وعدم تعريضه للجمود أو الانحراف فى آن .

ويعد طابع « التوحيد » من أبرز خواص الأدب العربى ، وهى خاصية تغلب على غيرها من خواصه وتمثله خير تمثيل ، فقد اتخذ الأدب العربى طريقه ليكون موحداً متساوياً وقد قدم الادب العربى فى نطاق مفهوم الفكر الاسلامى صوراً إنسانية عميقة فى مجال البطولة والزهد والتصوف والتسامى والمثل العليا والنظرة الجامعة واستطاع فى ظل مفهوم الفكر الإسلامى أن يحقق تحرير الخيال من الأغلال الطبيعية الشديدة الوطأة وأن يعيش الواقع ويحسنه .

وبالجملة فإن مفهوم الأدب العربى فى إطار الفكر الإسلامى يقوم على الجمع بين الوجدان والعقل ، والروح والمادة معاً وهو لا يعنى

بالاستعراضات والمهرجانات والزخارف وأوليته هى فى التعبير الفنى القائم على الإيمان بالله واليوم الآخر، وفناء العالم المادى وبقاء الروح وخلود اليوم الآخر، وقوامه ارتباط الأدب بالأخلاق، ويتركز مفهوم الأدب حول موقف الإنسان من الحياة والمجتمع، فى محاولة تكشف ما فيها من خير وشر، وعلى نحو يعلى ويزكى، يقبل الخير ويشجب الشر، وهو بذلك دعوة إلى القيم النبيلة التى تدفع الإنسان إلى مجال السمو والرفعة والكرامة دون الخروج عن نطاق الواقع، حيث يبدأ منه نقطة الإصـــلاح إعلاء للنفس الإنسانيـة عن الشر والفسـاد .

ويقوم المفهوم الفكرى للأدب العربى على أساس :

(١) التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته .

(٢) زرع الأمل فى النفوس وتحطيم اليأس .

(٣) الدعوة إلى الحياة الفاضلة الكريمة .

(٤) تقديم الحل الإسلامى لمشاكل العصر .

(٥) الأخلاقية سابقة على الجمالية والعصرية .

(٦) إسعاد القلوب والعقول بما يملأها طمأنينة وإيماناً .

(٧) القضاء على القلق والانحراف .

(٨) إطفاء الغرائز والاستعلاء بها على المادة والقبيح .

(٩) الحيلولة دون الذوبان الاجتماعى فى الحضارات .

(١٠) الحفاظ على الذاتية الإسلامية .

• • •

وقد دعا الأدباء الإسلاميون فى العصر الحديث إلى قيام منهج إسلامى لتاريخ الأدب العربى ولنظرية النقد الأدبى الإسلامية وذلك بعد أن خضعت مختلف الجامعات وكليات الآداب فى الجامعة والأزهر ودار العلوم إلى نظرية تاريخ الأدب الغربى ونظرية النقد الأدبى الوافدة .

ويركز الدعاة الإسلاميون إلى :

(أولا) أصالة الأدب (تاريخاً ونقداً) على أن يكون الأديب مسلماً مقتنعاً بمبادىء الإسلام وقيمه ومثله قبل كل شىء ، وملتزماً بالإسلام ضابطاً لحريته .

(ثانياً) أن يكون الأدب الإسلامى فى خدمة الدعوة

الإسلاميه وغايتها والدفاع عنها وتحريرها من التبعية .

(ثالثاً) أن يقدم المقاييس الإسلامية فى جميع المجالات :

(١) فى الحرب والسلام والمجتمع .

(٢) يقدم الأخلاق على الجمالى .

(٣) يقدم المفهوم الجامع روحياً ومادياً .

(٤) الصدق الفنى .

وهو ما وصفه عمر بن الخطاب فى قوله عن زهير (لا يماطل فى كلامه ولا يتبع حواشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه) .

(٥) التحرر من سموم النظرية الغربية للنقد (دكتور حسن جاد)

وبعد فما موقف الادب العربى من العالمية ؟



(ثالثاً) :

لماذا لا يكون الأدب العربى عالمياً

أولا : إن الأدب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه وحدة من وحدات الفكر الإسلامى بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع من أساليب غريبة من ناحية الأداء.

ولذلك فإن الإنتاج الأدبى القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن أسلوب أدائه غريب على الأدب العربى لأنه يخضع للنظرية المادية التى وضعها برونتيروسانت بيف استمداداً من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة المادية التى تعتبر الإنسان حيواناً سواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (الفرويدية) .

ثانياً : إن ترجمات الأدب العربى إلى الآداب الأوربية التى تمت فى العقدين الأخيرين لا تمثل حقيقة الأدب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ، لأن هناك تخيراً فى الانتقاء والاختبار تحت عنوان (بضاعتنا ردت إلينا) فإن هوى المترجمين لما ترجموه هو أن يثبتوا أن

الأدب العربى قد خضع تماماً للمفاهيم الغربية والأساليب الغربية أيضاً.

(ثالثاً) أن المصطلحات التى تستعمل الآن فى الأدب العربى دخيلة عليه وغريبة فهو يحاول أن يخضع لأطوار الأدب الغربى الذى يتصل بين الكلاسيكية والرومانتيكية وانتقل منها إلى السريالية والوجودية والآن يحاول أن يقف فى خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهى البنائية أو البنائية.

كما أن الأدباء خضعوا لمسميات كثيرة كعصر التنوير وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربى، بينما عصر التنوير هذا فى أوروبا إنما يمثل العصر الذى سيطرت فيه التحولات التلمودية التى عملت على هدم صروح المدرسة المثالية من أجل إقامة مفاهيم الإلحاد التى قادها فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة، وكان ذلك مقدمة لإشعال الثورة الفرنسية التى حطمت قواعد الوحدة المسيحية الغربية وفتحت لليهودية الطريق إلى السيطرة على المجتمع الغربى وتحطم النظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغليب الجنسية وإسقاط مفهوم الدين،

(رابعاً) مفهومنا للأدب العربى أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامى يقوم على قيم الإسلام العليا: التوحيد والأخلاق والعدل والإخاء الإنسانى.

وهى القيم التى قام عليها فعلا الأدب العربى بعد الإسلام ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية .

فالأداء العربى الآن يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربى الممتد خلال العصور والذى وصل على أيدى البارودى وشوقى والمنفلوطى والزيات والرافعى إلى قمة عالية ، فهو الآن ينحدر إلى لغة الصحافة أو اللغة الوسطى .

والشعر ينحرف الآن إلى قصيدة النثر والشعر الحر ويتدنى إلى مفاهيم منحرفة مكشوفة وأداء عربى ردىء .

أما القصة فتقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب الغربية ولا تمثل النفس العربية أبداً ، وهى تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على أنها علامات طبيعية فى المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهذا ما يجرى عليه أغلب كتاب القصة ، الذين يصدرون أساساً عن مفهوم علمانى لا يؤمن بقيم الدين الحق ومفهوم وثنى يعلى من نظرية عبادة الأجسام ، ومفهوم مادى لا يقر بوجود المسئولية الفردية ولا الأخلاقية ولا الجزاء الاخروى .

هذا النتاج كله باسم الأدب العربى لا يمثل حقيقة الأدب العربى وإنما يمثل انحرافاً طرأ على الأدب العربى بدخول المذاهب الوافدة

عليه وعلى المجتمع أيضاً . ومن هنا فإن هذا الأدب القائم يتمثل في صوره واحده سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، من ناحية تاريخ الادب أو النقد الادبى .

وأخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التى تقول بأن الادب العربى له استقلال عن الفكر الإسلامى وله حرية فى مجال الاداء دون اعتبار للمسئولية الاخلاقية والحدود والضوابط التى قررها الإسلام على المجتمع ، وهذه هى أخطر السهوم المسمومة التى أصابت الادب العربى اليوم فضلا عن تبعيته فى مصطلحات العصور والعناصر .

(سادساً) أما أن الادب العربى جدير بأن يكون عالمياً فذلك أمر لا سبيل إلى إنكاره فهو بطبيعته التى يستمدها من الإسلام يمثل المشاعر النفسية السمحة المستعلية على الخطيئة والجريمة والإباحة ، والمتجهة إلى الغيرية بديلا عن الانانية وعن الجماعية بديلا عن الفردية والتى لا تفقد أخلاقيتها من أجل الجمالية ، ولا تفقد معنوياتها فى رسالة التقدم من أجل ماديتها ، هذا الادب الذى يصور النفس المؤمنة بالله المتصلة به المندفعة فى سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيق المجتمع الربانى جديرة بأن يكون إنتاجها الادبى عالمياً لأنه إنسانى بطبعه وخليق بأن يصل إلى كل النفوس المشوقة إلى الإيمان والعدل والإخاء .

ولكن هذه المرحلة من الأدب العربى لم تبدأ بعد ونرجو أن لاتتأخر كثيراً .

(سابعاً) كذلك فإن الفكر الإسلامى اليوم هو القادر على تقديم رسالته الإنسانية إلى العالمين لأنه قد تحرر من التبعية وانطلق إلى آفاق العدل والرحمة والإخاء الحقيقى .

ولقد كان الفكر الإسلامى فى إبان الازمات التى لحقت بالمسلمين قادراً على العطاء أكثر من الادب العربى الذى ما زال غارقاً فى أوهام الاحتواء والتبعية والذى لم يستطع بعد أن يكتشف الاخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية وخاصة خطر التحدى الصهيونى المتنامى ؟



رقم الإيداع ٤٥٠٦ / ١٩٨٩

مطبعة دار البيان - بعابدين